متى يكون "نحو النص" أكثر ملاءمة من "نحو الجملة "(1) ؟
When is "grammar" more appropriate than "grammar"
Quand la "grammaire" est-elle plus appropriée que la "grammaire"

إيوالد لانغ
تر: مفتاح بن عروس
المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط

الملخص:

يتكلم الجميع حاليا عن نحو النص ولكن في أطر غير متجانسة لدرجة تجعلنا نحس بالحاجة إلى التساؤل عن كيفية إمكانية أن يكون النص موضوعا لدراسة لسانية.

إننا نعرف عن النص أشياء أكثر مما يبدو في هذا الركام، خاصة إذا أخذنا في الحسبان النتائج المتوصل إليها تحت عناوين غير عنوان النص. سأحاول أن أحلل بصفة نقدية المنحى المهيمن حاليا (ايزنبرج (ISENBERG)، ستنبل (STEMPEL)، بيتوفي (PETÖFI)...الخ) (2) الذي ينطلق من مصادرة مفادها أنه «يجب توسيع مجال اللسانيات إلى النص لأن هناك وقائع لسانية يتطلب تفسيرها اللجوء إلى سياق يتجاوز حدود الجمل».

الكلمات المفتاحية: النص، النحو، الجملة، السياق، نحو النص.

[1]- نعطي هذا العنوان لترجمة حرة لرسالة بعث بها ايوالد لانغ في أوت 1971 لوولف ثومل، لتبيين بعض النقاط تبعا لنقاشات سابقة. وقد أدرجناها هنا في آخر لحظة لأنها تمثل أخذ موقف حديث يمكن مواجهته بكيفية مفيدة بأطروحات بوردان ودوهيم التي قدماها في مقالهما. ونظرا لضيق المكان فإننا اقتطعنا من النص، بل واختصرناه أحيانا (دانيال كاسيمون وبلانش فرانق).

[2]- ينظر ايزنبرج <1968 (= أ.8.5)؛ 1970 (= أ.7.5)>. وولف- ديستر ستنبل:
Baiträge zur textlinguistik - München: wilhelm B Fink verlag 1971 (Internationale Bibliothek Für allge linguistik. - János s. PETOF: Transformations grammatiken und die grammatiscke Beschreibung der Texte – LB 14 (1971). 17.33 (D.C + B.G).

Abstract:

Everyone is currently talking about textual syntax, but in such heterogeneous frameworks that one feels the need to ask how the text can be the subject of a linguistic study.

We know more about the text than appears in this rubble, especially if we take into account the results obtained under titles other than the title of the text. I will try to critically analyze the current dominant current (ISENBERG, STEMPEL, PETÖFI, etc.) which starts from the postulate that "the field of linguistics must extend to the text because there are linguistic facts whose interpretation requires the use of context beyond sentence boundaries.

Key words: Text, grammar, sentence, context, text grammar.

Résumé:

Tout le monde parle actuellement de syntaxe textuelle, mais dans des cadres tellement hétérogènes que l'on ressent le besoin de se demander comment le texte peut faire l'objet d'une étude linguistique.

On en sait plus sur le texte qu'il n'apparaît dans ces décombres, surtout si l'on tient compte des résultats obtenus sous des titres autres que le titre du texte. Je tenterai d'analyser de manière critique le courant

dominant actuel (ISENBERG, STEMPEL, PETÖFI, etc.) qui part du postulat que « le champ de la linguistique doit s'étendre au texte car il y a des faits linguistiques dont l'interprétation nécessite le recours à un contexte au-delà des limites des phrases.

Mots clés : Texte, grammaire, phrase, contexte, grammaire du texte.

مقدمة

يتكلم الجميع حاليا عن نحو النص ولكن في أطر غير متجانسة لدرجة تجعلنا نحس بالحاجة إلى التساؤل عن كيفية إمكانية أن يكون النص موضوعا لدراسة لسانية.

وفي الواقع، فإننا نعرف عن النص أشياء أكثر مما يبدو في هذا الركام، خاصة إذا أخذنا في الحسبان النتائج المتوصل إليها تحت عناوين غير عنوان النص. سأحاول أن أحلل بصفة نقدية المنحى المهيمن حاليا (ايزنبرج (ISENBERG)، ستنبل (STEMPEL)، بيتوفي (PETÖFI)...الخ)(3) الذي ينطلق من مصادرة مفادها أنه «يجب توسيع مجال اللسانيات إلى النص لأن هناك وقائع لسانية يتطلب تفسيرها اللجوء إلى سياق يتجاوز حدود الجمل».

[3]- ينظر ايزنبرج <1968 (= أ.8.5)؛ 1970 (= أ.7.5)>. وولف- ديستر ستنبل:
Baiträge zur textlinguistik - München: wilhelm B Fink verlag 1971 (Internationale Bibliothek Für allge linguistik. - János s. PETOF: Transformations grammatiken und die grammatiscke Beschreibung der Texte – LB 14 (1971). 17.33 (D.C + B.G).

1. تفكير أولي

سأطرح في البداية السؤال الآتي: ما هي الوقائع التي لم توصف مع أنه كان من الواجب أن توصف ؟ وما معنى «توسيع مجال النحو إلى النص» ؟.

يقتضي الجواب المرضي عن هذا أن نبين:

(1) وجود وقائع لا يمكن للجهاز الحالي أن يصفها.

(2) أن وسيلة وصفها يمكن أن تكون الآتي: توسيع مجال النحو بالتزود بجهاز أغنى يسمح بصياغة شروط نصية. أي إعادة النظر في النظرية حتى تصبح على درجة أكبر من الملاءمة تسمح لها بأن تعالج الوقائع التي وضعت جانبا إلى حد الآن.

ها هنا شروط مسبقة ليست بالهينة، وهي ضرورية من الناحية المنهجية إذا أردنا أن ننظر إلى نحو النص كمرحلة هامة في البحث اللساني. ففيما يتعلق بالنقطة (1)، فإن الأمثلة فيها ليست قليلة أما فيما يتعلق بالنقطة (2) فإنها تطرح بعض المشاكل لأنها تفترض أن نبين أن:

3- هناك لا محالة فرقا يجب أن نحدده بين «الجملة» و«النص».

4- وأن هذا الفرق يجب تحديده بكيفية تجعل النص هو الوحدة المسؤولة عن العلاقات البنوية التي تتجاوز حدود الجملة.

2- قبول قبل- نظري لكلمة «نص»

النص1: نجد غالبا كلمة «نص» مستعملة للدلالة على شكل لغوي ذي تعقيد معين، وتكون الجملة في هذه الحالة هي مقياس هذا التعقيد الذي يمكن أن يصل إلى حدود الرواية...الخ. ونلاحظ أن اللسانيين حينما يشتغلون انطلاقا من هذا التصور فإنهم يستعملون عادة في أعلى الترتيب أقساما وظيفية أدبية وفي أسفله أقساما نحوية. وهذا خلط ينم عن عدم كفاية هذه النظرة بالنسبة للساني.

النص2: قد يراد في خطاب ما (بالمعنى الواسع للسيميولوجيا وليس للسانيات فقط) التمييز بين المادة اللغوية التي نسميها «النص» والمادة غير اللغوية التي تؤدي أيضا وظيفة دالة (مثلا شكل إشارة المرور ولونها بجانب كلمة «قف» أو الموسيقى بجانب كلمات الأغنية).

النص3: يدل النص أيضا على شكل أو كيفية وجود العناصر اللغوية في فعل التواصل.

ولا يمكن لأي تصور من هذه التصورات الثلاثة بهذا الشكل أن يؤسس نظرية، ولكن يعكس كل تصور جانبا هاما من الناحية اللسانية على النموذج أن يبينه ويأخذه بعين الاعتبار. وعليه فلا بد إذن من أن نقوم بوصف منسجم لهذه الجوانب الثلاثة المختلفة كثيرا في طبيعتها.

3- النص منظور إليه انطلاقا من الجملة

انطلقت معظم محاولات التوسيع، التي تم القيام بها إلى الآن، من تصور النص1. ولأن العمل كان حول ظواهر تقتضي ما هو أكبر من الجملة (العناصر الإحالية النصية – تحليل بواسطة الموضوع/المحمول، النبر المرتبط بعناصر خارج الجملة...) وتنتمي إلى الملكة (compétence)، فقد تم وضع الجملة في سياق أي في كيان أكبر منها (ايزنبرج 1988 (= أ: 8.5)؛ هايدولف 1966، (= ب1. 31). وهناك من المبررات ما يسمح بوصف هذه الظواهر. ولكن يجب التمييز بين وصف البنية السطحية للجملة من جهة وبين موقع الجمل في بنى معقدة تتكون من عدة جمل. فهذه النقطة الأخيرة لها علاقة بالانسجام وهي بلا شك من الوقائع النصية. غير أن النقطة الأولى يمكن أن تعالج دون أن نكون بحاجة إلى توسيع النحو إلى النص، ذلك أننا نستطيع أن نضع علاقات بين الجمل دون أن نسمي الكيان الأكبر الذي تكون هذه العلاقات

مكونة له «نصا». ومن ثم فملاحظة أن البنية السطحية للجمل ترتبط بعناصر سياقية وإرادة توليد نصوص هما شيئان مختلفان لا يقتضي بالضرورة أحدهما الآخر.

هناك عدة أعمال حاولت إدراج وصف الوقائع السياقية التي ترتبط بالبنية السطحية للجمل ضمن النموذج. وسأقدم هنا ثلاثة أمثلة:

يعطي هايدولف < 1966 (= ب1 .31) > لمكونات، في شكل سمات، خصائص ليست لها إلا في إطار تتابع جمل. وهذه السمات هي، بصورة مختصرة، معلومات حول قسم السياقات الممكنة للجملة وتتحكم في تطبيق العمليات التحويلية.

وبتقييد معلومات في الوسم الجملي (P. Marker) وتتحكم في استعمال أداة التعريف، يدرج أنير(4) ضمن وصف الجملة وقائع نصية، وهذه المقاربة هي من قبيل تقنية مصطنعة لإبراز التأثير المتوازي لهذه الوقائع النصية بين اقتضاءات جملة ومتضمناتها (implicites) والسياقات اللغوية في شكل جمل، أي الاقتضاءات الصريحة.

ولا شك أن هذا التوازي موجود، ولكن كان على أنير أن يحدد أن التأثير المتوازي (في البنية السطحية) لهذين النوعين من التكييفات المنتظمة (conditionnements systématiques) هو الذي يبرر اعتبارهما وقائع لسانية بنفس الدرجة.

والرموز المعقدة (التي تحتوي من ضمن ما تحتويه معلومات إحالية) التي يدرجها ايزنبرج < 1968 (= أ 5-8) تتحكم في تأويل وتقييد الجمل في النص. وتمثل هذه المحاولة تقدما مقارنه بأنير، لأنها مدرجة بصفة منسجمة في نموذج يلائم مقترحات لاكوف.(5) ولكن يجب أن نعتبر محاولة ايزنبرج مرحلة مؤقتة، لأن التأويل الذي يعطى للسمات التي تُكَوّنُ الرموز المعقدة غير متجانس. فهذه السمات تتضمن معلومات يجب إعادة صياغتها في شكل افتراضات ومعلومات مقيدة في المعجم...الخ.

---

[4]- Sandra ANNEA: Relative clauses and jonction - [ohio]; 1967, [Polycop].

[5]- George LAKOFF, On the nature of syntactic irregularity- Harvard computation Laboratory, NSF-17 (1967).

ولا شك أن الحالات التي ذكرها ايزنبرج وأنير (وغيرهما) هي حالات نجد فيها علاقة بين بعض عناصر الجملة وعناصر خارجة عنها. ولكن هل هذا يسمح لنا بأن نستنتج مع ايزنبرج أنه يجب علينا أن نبلور نحوا للنص؟

أقدم هنا تحفظين أساسيين أولهما ذو طابع عام: فتوسيع مجال النحو إلى النص لا يُتصور إلا إذا استطعنا أن نميز بوضوح بين «الجملة» و«النص» وهذه مسألة يجب إثباتها. وأما ثانيهما فيرتبط بالحجج المقدمة في هذه الأعمال. فمسألة العلاقات الإحالية «النصية» التي عرضها هذان الباحثان لا تجعل نحوا للنص ضروريا فيما يبدو لي، ذلك أننا لسنا بحاجة إلى تحديد اتساع السياق الذي يعمل فيه المُحيل المشترك (coréferent) لتبيين هذه العلاقة الإحالية.

سأفحص هاتين المسألتين تباعا.

4- الجملة في مقابل النص

من الصعب أن نضبط الفرق بين جملة وتتابع جمل أي أن نضبط حدود الجملة:

(أ)- هناك عمليات تحويلية (الاختزال في حالات العطف، الحذف) تدمج مجموعة من الجمل وتُماثل بذلك بين جملة مركبة وتتابع جمل فتجعل حدود الجملة صعبة التحديد.

(ب)- والشيء نفسه يصلح بالنسبة للوصف الذي قام به ثومل (Thümmel) <1970 (=ب1 .61) > حول العلاقات بين العطف والتعليق (subordination).

(جـ)- لا أعرف قاعدة نحوية تكون فيها الجملة هي الوحدة الحصيفة/الدالة (pertinente).

وخلاصة القول: إذا كان النص مجرد تتابع للجمل، فإن الفرق بين جملة وتتابع جمل ليس دقيقا، وعليه فلا حاجة لتعديل نموذج نحو الجملة ليتلاءم مع «النص»، ونرى أن استبدال ثومل لـقاعدة المنطلق التي هي «الجملة» بـقاعدة «النص»، ليس تغييرا أساسيا ونوعيا للنموذج.

5- علاقات إحالية نصية

من المؤكد أن على النحو أن يصف كيف يستطيع المتكلم القادر أن يعرف التطابق أو عدم التطابق الإحالي لمركبين اسميين مثلا، ولو كان هذان المركبان في تتابع جمل ولَيْسا في جملة واحدة. أقترح من أجل هذا أن نشير إلى الشروط التي يكون فيها كل مركب اسمي (م إ)، سابقا أو لاحقا ممكنا في علاقة اشتراك إحالي دون إعارة الاهتمام لمعرفة ما إذا كان العنصر الآخر عنصرا لغويا أم غير لغوي. ونرى في هذه الشروط أن العلاقات الإحالية النصية لا تمثل حجة للقول بوجود نحو للنص.

6- النص كمحصلة لعمليات إدراج

آمل أن أكون قد بينت أن الحجج المقدمة إلى حد الآن ليست كافية لتجعل من نحو للنص يختلف نوعيا عن نحو للجملة ولا تؤدي إلى «تفجير» النموذج السابق. سأعدد الآن خصائص مركب لساني (أسميه «النص») وتبدو لي مميزة له باعتباره وحدة «مختلفة» عن «الجملة» لأنني سأستعمل «الجملة» عنصرا لتعداد هذه الخصائص:

إن دلالة نص (أو المعلومات التي يقدمها) هي كلٌّ أكبر من مجموع دلالات الجمل التي تكوّنه. وهذه الزيادة في الدلالة ترتبط بالخصائص الآتية:

α) النص هو الإطار الذي يزول داخله لَبْس الجمل.

β) النص يحتوي على افتراضات أخرى واقتضاءات أخرى غير افتراضات واقتضاءات الجمل المكوِّنة له.

γ) للنص إمكانيات أخرى لإعادة الصياغة غير الإمكانيات التي للجملة.
(ينظر إمكانيات الاختزال إلى حدود الملخص الأدنى)

وهذه الزيادة في الدلالة يتم الحصول عليها بواسطة العمليات الآتية التي تكوِّن دلالة النص، وهي كلها تنتمي إلى الملكة (compétence).

أ) إدراج التأويلات الدلالية للجمل المكوّنة للنص.
ب) وضع شروط الملاءمة بين ما هو مفترض وما هو معطى في الجمل التي يتم تحديدها وما هو مفترض وما هو معطى في النص.
جـ) وضع علاقات التكافؤ (من ضمن علاقات أخرى) بين مقاطع من أطوال مختلفة حتى الوصول إلى فهم انسجام النص. (يعني الفهم هنا القدرة على التكثيف)

ويبدو لي أن هذه الوقائع، تشكل أكثر من غيرها، مبررا لتوسيع حقل النحو إلى النص. فمن جهة «تتجاوز هذه الوقائع حدود الجملة» ولكن بمعنى يختلف عن الحالات السابقة؛ فلا يتعلق الأمر باقتطاع سلسلة خطية ولا بالبحث عن حد للتعقيد، ولكن يتم التموضع في مستوى أعلى من دلالة الجملة. ومن جهة أخرى فإن هذه العمليات التي أربطها بالملكة تتطلب الانتقال إلى نموذج آخر: يجب إدخال عمليات منطقية على الدلالات (كالاستنتاج والتكافؤ...) ذاهبين في ذلك في خط «المنطق الطبيعي» للاكوف(6).

مثــال:

i- يتعلم (بيتر) الفرنسية. (سوزان) لا تدخن إلا الجيتان ويريد (رودي) أن يتزوج بـ (ب ب). كل العائلة فرانكفونية.
ii- يتعلم (بيتر) الفرنسية. يريد (رودي) أن يتزوج (ب ب). وهكذا نقضي الأمسية.

في المثال(i) نستخلص من الجمل الثلاث الأجزاء الدلالية التي تسمح بالانسجام الذي تؤكده الجملة الأخيرة (كل العائلة فرانكفونية). ولا تتم العمليات هنا استنادا إلى الجانب الدلالي فقط، بل تستدعي الاستعانة بمجموع المعارف (فالجيتان هي سجائر من منتوج فرنسي، و(ب ب) هي فرنسية...). أما

[6]- George LAKOFF, Linguistic and natural logic – Ann arbor, Michigan: phanetic Laboratory [OF] the university of Michigan, Avril 1970 = Studies in generative semantics № 1.

المثال (ìì) فالمسألة على العكس من ذلك، إذ لا يمكن تحديد أي وجهة نظر مشتركة. هناك بسط أكثر للمسألة في بحثي.(7)

ومع هذا الذي قلته هنا، فإن موضوع الدراسة الذي هو «النص» لم يحدد بعد. لقد أشرت فقط إلى الوسيلة لوصف بَعْضٍ من هذه الجوانب الهامة. ولا يمكن لنظرية نص أن تتأسس إلا تدريجيا بإدراج متتابع لمختلف الجوانب. وهناك وجهة نظر أخرى يجب إدراجها وهي:

7- البناء العام للنصوص

يطالب ايزنبرج بأن ننطلق في نظرية للنص من العوامل التي «تحدد بناءه العام» <1970 (أ 7.5)>. غير أن الوظائف التي يعددها هي ذات طبيعة مختلفة. فبتناول وظائف مثل «رسالة» و«عبارة» فإنه يتموضع في واقع الأمر في خانة النص3. وفي المقابل لا يحدد كيفية وصف العلاقات التي توجد بين هذه الوظائف وبين بنية (ودلالة) الجمل المكونة للنص، رغم أنه من المفروض أن تتم معرفة كيفية وصف لعبة الانتقاء المتبادل بينها. ويبدو لي في هذا السياق أن التحليل الأدائي (analyse performative) هو أكثر ملاءمة لهذا المسار. ويجب، بلا شك، أن يدرج هنا وصف بنية الحجاج لتومل ولكن بكيفية معقولة؛ أي بتفادى التكرار وعدم الانسجام، أما الوظائف الأخرى التي يستعيرها ايزنبرج من لابوف/فاليتسكي: («التوجيه»،...الخ) فإن لها منزلة أخرى، والدليل على ذلك أنه بإمكانها أن تهيمن على الوظائف الأخرى والعكس بالعكس(8). وفي المقابل فإن وظائف لابوف/فاليتسكي التي يتم بواسطتها تحديد الأجناس فإنها ليست لسانية بالمعنى الحقيقي للكلمة. وإذا كان لا بد من أخذ هذا البعد بعين الاعتبار، وهو لا يخلو من أهمية، فإننا أمام سؤال عن العلاقة بين

---

[7] - هذا البحث لم يكتمل بعد، ولكن نشير إلى الصدور القريب في مطابع موتون لمقال تحت عنوان über einlge schwiergkeiten bien postulieren einer "textgrammatik".
وقد وصلتنا نسخة مرقونة منه عدد صفحاتها 34 حين كنا في مرحلة تصحيح هذا المقال.

(8)- تقاسم وجهة نظر لانغ من حيث إنه يوجد عند ايزنبرج استعمال ملتبس لكلمة «وظيفة» فتارة تعني ما يفهم من «وظائف اللغة» كما حددها جاكبسون بعد بوهلر، وتارة تعني الوحدات الوظيفية للحكاية باعتبارها بنية. (ينظر مثلا كلود بريمون في «La logique des possibles narratifs» **COMMUNICATION** 8 (1966) 60-76.

نوعي هذه الوظائف وعن علاقاتها بدلالات الجمل التي تهيمن عليها. ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أيضا الإدراجات التي أشرت إليها في الفقرة 6.

وتشكل الآلية التي تنظم كل هذه الجوانب نحوا للنص. وهذا النحو لا يعوض نحو الجملة، ولكنه ينتمي إلى مجال خاص من اللسانيات تتم فيه عملية ارتباط بعلوم اجتماعية أخرى.

قائمة المصطلحات

acte de communication	فعل التبليغ
catégories fonctionnelles	أقسام وظيفية
catégories grammaticales	أقسام نحوية
cohérence	انسجام
contexte extra phrastique	سياق خارج جملي
fait textuel	واقع نصي
fonction signifiante	وظيفة دالة
grammaire de texte	نحو النص
opérations d'intégrations	عمليات إدراج
opérations d'équivalence	عمليات تكافؤ
opérations transformationnelles	عمليات تحويلية
présupposé de la phrase	افتراضات الجملة
rapports structuraux	علاقات بنوية
référents textuels	محيلات النصية
relation de coréférence	علاقة الاشتراك الإحالي
relations sémantiques	علاقات دلالية
relations référentielle textuelles	علاقات إحالية نصية
structuration globale du texte	بناء عام للنص
suite de phrases	متتالية جملية
super structure sémantique	بنية دلالية عليا
théorie du texte	نظرية النص